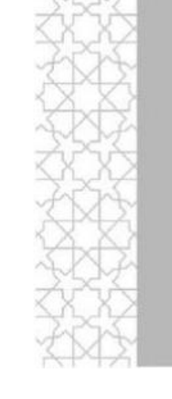


تحقيق القول في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة
(دراسة تحليلية في القرآن الكريم)

د. صالح بن سعود سليمان السعود

قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية

جامعة حائل



تحقيق القول في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة (دراسة تحليلية في القرآن الكريم)

د. صالح بن سعود سليمان السعود
قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية
جامعة حائل

تاريخ تقديم البحث: ١٣/ ٧/ ١٤٤١ هـ   تاريخ قبول البحث: ٣/ ٣/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

عنوان الدراسة: شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة، دراسة تحليلية في القرآن الكريم.

هدف الدراسة: الوصول إلى القول الراجح في خصوص شهادة الأعضاء على العباد يوم القيامة.

منهج الدراسة: المنهج الاستقرائي التحليلي.

أهم نتائج الدراسة:

١/أن لفظة (شهد) تأتي في القرآن على أوجه ومعان متعددة، ومفهومها الاصطلاحي متنوع بتنوع المجالات.

٢/ أن الشهادة صفة من صفات الله تعالى، وهي ثابتة للملائكة وللأنبياء وللرسل.

٣/ الأعضاء الواردة في كتاب الله تزيد عن أربعين عضواً.

٤/ أن الفخذ والكف أول الأعضاء شهادة على الإنسان.

٥/ أن شهادة الأعضاء حقيقة لدلالة النصوص في ذلك؛ لا كما يرى المعتزلة أن الله يخلق فيها كلاما.

٦/ أنَّ الآيات الواردة في شهادة الجوارح ثابتة بالنص على المنافقين والكفار من خلال سياق الآيات.

أهم التوصيات:

١/ ضرورة العناية بالتفسير التحليلي للإسهام في خدمة كتاب الله.

٢/ توجيه الباحثين وتشجيعهم على البحث في التفسير الموضوعي وانتقاء المواضيع المهمة في عصرنا والتركيز عليها.

٣/ عقد المؤتمرات التي تُعنى وتهتمّ بتدريب الباحثين على استعمال المنهج الاسقرائي والتحليلي في التفسير.

الكلمات المفتاحية: تحقيق، شهادة، أعضاء، العباد، القيامة

Achieving the saying about the testimony of the members on the person on the Day of Resurrection
(An analytical study in the Holy Quran)

Dr. Saleh bin Saud Suleiman Al Saud
Department of Islamic Culture - Faculty of Education
Hail University

Abstract:

Study title: Members ’testimony on man on the Day of Resurrection، an analytical study in the Holy Quran.
The aim of the study: to arrive at the correct statement regarding the testimony of members on servants on the Day of Resurrection.
Study method: The inductive analytical method..
The most important results of the study:

١-The word "shahid" comes in the Qur'an in many facets and meanings، and its conventional concept is diverse in a variety of fields.

٢- The testimony is one of the attributes of God Almighty، and it is fixed for the angels، the prophets، and the messenger.

٣ / The members mentioned in the Book of God are more than forty members.

٤ / The thigh and palm are the first testimonies of a person.

٥ / The testimony of the members is true to the significance of the texts in this، not as Mu'tazilites see that God creates words in them.

٦ / The verses mentioned in the certificate of prey are fixed by stipulating hypocrites and unbelievers through the context of the verses.

The most important recommendations:

١ / The necessity of taking care of the analytical interpretation of the contribution to serving the Book of God.

٢ /Guide researchers and encourage them to research objective interpretation and select and focus on the important topics of our time.

٣ / Holding conferences concerned with training researchers in using the inductive and analytical approach to interpretation.

key words: investigation، testimony، organs، servants، resurrection.

المقدمة:

الحمدلله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وبعد:

فلقد وردت في كتاب الله آيات تناولت شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة، وتنوعت تلك الأعضاء الشاهدة، ولا شك أنّ هذه الشهادة شهادة عظيمة، وهي أيضاً شهادة مروّعة، تستوقف القلوب المؤمنة.

إنّ شهادة الأعضاء على ابن آدم تُظهر عظيم قدرة الله تعالى وإحاطته بعباده، وعدله في خلقه وحكمته، فقد جعل من أنفسهم شاهداً عليهم، وكذلك تُبين أنّ النّاس لا حول ولا قوة لهم –حتى في أعضائهم– إلا بالله العظيم.

وقد اختلف المفسرون في تفسير الآيات الدالة على الشهادة، فمنهم من قال هي آيات عامة تشمل كل أبناء آدم، مؤمنهم وكافرهم، ومنهم من قال إنّما هي خاصة بالكفار الذين ينكرون أفعالهم.

ولما كان الخلاف بين المفسرين في هذه المسألة المهمة، أحببت أنّ أقوم بتحقيقها وإيضاحها، لأصل إلى القول الصحيح الراجح فيها بالأدلة.

أهمية الموضوع:

- التناول القرآني والتذكير والتخويف بشهادة الأعضاء يوم القيامة.
- الارتباط بالعقيدة، والإيمان باليوم الآخر وأهواله.
- التنوع في إقامة الحجة على العباد.
- الربط بين مباحث الموضوع من ناحية عقدية وتفسيرية.
- إبراز التأصيل العلمي في تفسير القرآن الكريم من خلال دراسة مختصة.

أسباب اختيار الموضوع:

- الإسهام في تحرير وتحقيق الخلاف بين المفسرين في شهادة الأعضاء يوم القيامة.

- الدربة على المقارنة بين أقوال المفسرين، والترجيح بينها.

هدف الموضوع:

الوصول إلى القول الراجح في شهادة الأعضاء على العباد يوم القيامة.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على قوائم الجامعات والمكتبات، والمراكز العلمية، تبيّن لي عدم تناول هذا الموضوع بهذا التفصيل في أي بحث سابق. ومن البحوث العلمية التي تناولت موضوع الشهادة من محاور مختلفة:

١-(الشهادة في القرآن الكريم: أنواعها ومعانيها)، وهو بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعودالإسلامية، للطالب: علي حسان بن علي حسان.

وقد تناول الباحث معنى كلمة الشهادة في القرآن الكريم، وميادين الشهادة، والأساليب القرآنية في عرض

الشهادة، وشروط الشهادة العامة، والشهادة في نظام الأسرة، والشهادة في الحدود، والشهادة في الجهاد في سبيل

الله، والجهاد في الأخلاق، والآثار الدنيوية والأخروية للشهادة.

٢-(الشهادة في ضوء الكتاب والسنة وأجر الشهيد)، وهو بحث مقدَّم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى للطالبة: صالحة محمد زين أحمد فطاني.

وتناولت الباحثة الموضوع من حيث: تعريف الشهادة في اللغة والشرع، وفي اصطلاح الفقهاء والأدلة على مشروعيتها، وبيان شروط الشهادة وما ينافيها، وفضل الشهادة والشهيد في الدنيا ويوم القيامة، وصور بارزة من شجاعة الشهداء والشهيدات.

ولم أجد إلا هذين البحثين "الشهادة في القرآن الكريم: أنواعها ومعانيها"، و"الشهادة في ضوء الكتاب والسنة وأجر الشهيد" لهما صلة بموضوع الشهادة في القرآن.

ولا شك أن كتب الأقدمين فيها ما فيها من الحديث عن هذا الموضوع.

وهناك مقالات وخطب حول هذا الموضوع، منها:

- شهادة الجوارح على الانسان يوم القيامة، للعلامة ابن باز(رحمه الله)، نُشر في: مجلة الدعوة، العدد(١٤٦٩) وتاريخ ١٤١٥/٦/٢٨هـ، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز(٨/٣٩٠).
- خطر اللسان على الانسان للعلامة/ صالح الفوزان، الموقع الرسمي لفضيلته.
- لماذا تشهد أعضاء العبد عليه يوم القيامة وقد قامت الحجة عليه بكتابة الملكين؟ لمحمد المنجد، نشر في ٢٠١٢/٤/٢٨م.
- الشهود يوم القيامة(كلمات لابن القيم)، جمع: أ. أناهيد السميري.
- يوم(الشهادة) تنطق الجوارح بما عملت، لمحمد أحمد، جريدة الاتحاد. وغيرها.

وأمّا دراستي- إن شاء الله- فستكون دراسة قرآنية مختصة بجانب التحقيق في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة.

وستتميّز هذه الدراسة بمشيئة الله عن غيرها من الدراسات السابقة بتتبّع الأعضاء الواردة في كتاب الله، وما يتعلق بخصوص شهادة الأعضاء وعمومها إن شاء الله.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي والتحليلي المتضمن لاستقصاء المسائل، والتحليل والجمع، والتحقيق، والمناقشة، وذلك بجمع النصوص والأقوال واستخلاص النتائج.

عملي في البحث:

جمعت مادة البحث من أدلة القرآن والسنة وأقوال العلماء، وفق ضوابط البحث العلمي، مع مراعاة الآتي:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني داخل قوسين مزخرفين﴿ ﴾.
- المقارنة بين أقوال المفسرين.
- التحري في النقل والتحقيق والتوثيق.
- عزو الآيات إلى سورها في المتن ( ).
- تخريج الأحاديث النبوية، فما كان في الصحيحين، أو أحدهما، أكتفي بتخريجه منهما، وما كان في غيرهما خرجته وبينت درجته وحكم العلماء فيه.
- الترجمة للأعلام غير المشهورين عند أهل الاختصاص.

خطة البحث:

ستكون خطّة الدراسة مشتملةً على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتوصيات وفهارس.

المقدمة: وتحتوي على: (أهمية وأسباب وهدف الموضوع، وحدود ومنهج الدراسة، وسؤالها، وعملي فيها).

المبحث الأول: التعريف بالشهادة وإطلاقاتها في القرآن، **وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: معنى الشهادة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: إطلاقات الشهادة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آيات الشهادة في القرآن الكريم ودلالتها على الإثبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شهادة الله وملائكته وأنبيائه ورسله.

المطلب الثاني: شهادة عموم الخلق.

المبحث الثالث: إقامة الحجة على العباد يوم القيامة، وفيه **مطلبان:**

المطلب الأول: إقامة الحجة بكتابة الأعمال والشهادة عليها، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إقامة الحجة بكتابة الأعمال.

المسألة الثانية: إقامة الحجة بالشهادة على الأعمال.

المطلب الثاني: إقامة الحجة بشهادة الأعضاء يوم القيامة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الآيات الواردة في شهادة الأعضاء.

المسألة الثانية: الأعضاء التي تشهد على الإنسان.

المسألة الثالثة: شهادة الأعضاء يوم القيامة بين العموم والخصوص.

الخاتمة: وبها أهمّ النتائج، والتوصيات.

الفهارس: وتشمل الآتي:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

***

المبحث الأول: التعريف بالشهادة وإطلاقاتها في القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الشهادة في اللغة والاصطلاح

معاني الشهادة في اللغة: تعددت معاني الشهادة في اللغة، ومن أشهرها:

أولا: الحضور والمعاينة: قال ابن فارس(ت: ٣٩٥هـ): الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ[١].وقال ابن منظور(ت: ٧١١هـ): والمشاهدة: المعاينة، وشهده شهودا؛ أي: حضره فهو شاهد، وقوم شهود، أي: حضور، وهو في الأصل مصدر[٢].قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾(هود: ١٠٣)، أَيْ: يَشْهَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[٣]. والشُّهود والشَّهادة: الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر أو البصيرة، وقد يقال للحضور مفرداً؛ قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾(التغابن: ١٨)[٤].وبهذا يتبيّن أن الشهادة: هي الإخبار عن ما يتيقّنه الإنسان؛ إمّا بحضوره؛ أو مشاهدته بحاسته؛ أو بصيرته.

ثانياً: العلم: أَن يخبر بِمَا رأى، وَأَن يقر بِمَا علم، ومجموع مَا يدْرك بالحس. وَالشَّهَادَة الْبَيِّنَة (فِي الْقَضَاء) هِيَ: أَقْوَال الشُّهُود أَمَام جِهَة قضائية[٥]، ومنه قَوْلُه ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٣/ ٢٢١، مادة(شهد).

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٢٣٩، (فصل: الشين المعجمة).

(٣) معالم التنزيل للبغوي: ٢/٤٦٥٠

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي: ٣/٣٥٠، مادة(شهد).

(٥) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١/٤٩٧ باب (الشين)، مادة (شهد).

بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾(آل عمران: ١٨).قال أهل العلم: معناه أعلم الله عزَّوجل، بيَّن الله، كما يُقال: شهد فلان عند القاضي؛ إذا بيَّن وأعلم لمن الحق؛ وعلى من هو[١].

ثالثاً: التحمُّل والأداء: تطلق على التحمُّل، فتقول: شَهِدتُ بمعنى تَحمَّلتُ، وعلى الأَداء: فتقول: شَهدتُ عند القاضي شَهادةً أَّديتُها[٢]واسْتَشْهَدْتُ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ؛ إِذا سأَلتُه إِقامَةَ شَهادةٍ احْتمَلَها. وأَشْهَدْتُ الرَّجُلَ عَلَى إِقرار الْغَرِيمِ، واسْتَشْهَدتُه بِمَعْنًى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾(البقرة: ٢٨٢)، أي: أشهدوا شاهدين[٣].

رابعاً: الحلف واليمين: شهد: أدى مَا عِنْده من الشَّهَادَة، وَبِاللَّهِ: حلف وَأقر بِمَا عَلِمَ[٤]، وأشْهَدُ بكذا، أي: أحْلِف)[٥]، ومنه قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾(المنافقون: ١). نَشْهَدُ أي: نَحْلِفُ، فَعَبَّرَ عَنِ الْحَلِفِ بِالشَّهَادَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَلِفِ وَالشَّهَادَةِ إِثْبَاتٌ لِأَمْرٍ مُغَيَّبٍ[٦].

خامساً: القتل في سبيل الله: اسْتُشْهِدَ: قُتِلَ شهيداً، وتَشَهَّدَ: طَلَبَ الشَّهَادَةَ، والشَّهِيدُ: المقْتول فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْجَمْعُ شُهَداء؛ قال السهيلي(ت: ٥٨١هـ) في معنى الشهيد: وهذا الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المشاهدة؛

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٢٢١/٣، كتاب (الشين) باب (الشين مع الهاء)، مادة (شهد).

(٢) المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح (ص: ٧٠٩) .

(٣) لسان العرب لابن منظور: ٢٤٠/٣، (فصل: الشين المعجمة).

(٤) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية: ٤٩٧/١، مادة(شهد).

(٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٢٩٢)، (فصل: الشين).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٢٢/١٨ .

فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى: مشهود، أي مشهود عليه، ومشهود له بالجنّة،...، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون (فعيلا) بمعنى(فاعل)؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾(البقرة: ١٤٣). فهذان وجهان في معنى الشهيد إذا جعلته مشتقّا من الشهادة،....[1].

ويظهر لي أن هناك فروقاً لغوية بين كلمة الشهادة وبعض الكلمات المقاربة لها، ومن أبرز هذه الفروق:

الفرق بين الشهادة والعلم: أن الشهادة أخص من العلم؛ وذلك أنها علم بوجود الأشياء من قبل نفسها لا من قبل غيرها، والشاهد نقيض الغائب في المعنى؛ ولهذا سمي الله الكريم شاهداً لكل نجوى؛ لأنه يعلم جميع الموجودات بذاته عزوجل، قال سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(التغابن: ١٨)، فالشهادة علم يتناول الموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم[2].

الفرق بين الشاهد والحاضر: أن الشاهد للشيء يقتضي أنه عالم به؛ ولهذا قيل: الشهادة على الحقوق؛ لأنها لا

تصح إلا مع العلم بها؛ وذلك أن أصل الشهادة: الرؤية، وقد شاهدت الشيء: رأيته، وقال بعضهم: الشهادة في الأصل إدراك الشيء من جهة سمع أو رؤية؛ فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود على مَا بَيْنَا، والحضور لا يقتضي

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: ٥٧/٦ .

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٩٦/١ .

العلم المحضور؛ ألا ترى أنه يقال: حضره الموت، ولا يقال: شهده الموت؛ إذ لا يصح وصف الموت بالعلم، وأما الإحضار فإنه يدل على سخط وغضب، والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾(القصص: ٦١)[١]أي: (من المحضرين في النار)[٢].

الفرق بين الشاهد والمُشاهِد: – أي المُعايِن: المشاهد للشيء هو المدرك له رؤية، وقال بعضهم: رؤية وسمعا،

وهو في الرؤية أشهر، والشاهد لا يقتضي ذلك[٣].فالعلم أعم من الشهادة؛إذ يتناول الموجود والمعدوم، بخلاف الشهادة التي تتناول الموجود فقط. والشهادة أعم من الحضور؛ إذإنها تقتضي العلم بالمشهود، والحضور لا يقتضي العلم بالمحضور.

تعريف الشهادة الاصطلاحي:

للشهادة معاني متنوعة بحسب فنون العلم، فعرّفها أصحاب كتب المصطلحات بما يأتي:

قال الجرجاني(ت: ٨١٦هـ): إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر، فالإخبارات ثلاثة: إما بحق للغير على آخر؛ وهو الشهادة، وإما بحق للمخبر على آخر؛ وهو الدعوى، أو بالعكس، وهو

(١) المصدر السابق: ١/٩٦.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ٤/٢٦١ .

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ١/ ٩٦ .

الإقرار[١].وقال المناوي(ت: ١٠٣١هـ): رؤية خبرة باطن الشيء ودخلته ممن له غنى في أمره، فلا شهادة إلا بخبرة وغناء ممن له اعتدال في نفسه بأن لا يحيف على غيره، فيكون ميزان عدل[٢].

من خلال ما سبق نرى أن الجرجاني عرف الشهادة عموماً، أما المناوي فعرف الشهادة المعتبرة شرعاً.

كما عرّفها أصحاب الفنون كلّ حسب فنّه، وسوف أبيّن معاني الشهادة الاصطلاحية عند المفسرين:

قال الراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ): الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر، أو بالبصيرة[٣]، وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): " أصل (شَهِدَ) في كلام العرب: حضر، ومنه قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ١٨٥﴾(البقرة: ١٨٥). ثم صرفت الكلمة حتى قيل في أداء ما تقرر علمه في النفس بأي وجه تقرر من حضور أو غيره: شَهِد يَشهَد"، وقال به ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ)[٤].

(١) التعريفات (ص: ١٢٩).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف(ص: ٢٠٨) .

(٣) المفردات في غريب الألفاظ (ص: ٤٦٨) .

(٤) المحرر الوجيز : ٤١٢/١، والتحرير والتنوير : ١٠٦/٣، ١٨٦.

والذي يظهر أن الشهادة قائمة على الأداء والإخبار، وهذا رأي ابن عطية، وابن عاشور، أماالأصفهاني فقد اشترط الحضور دون الأداء. أما الشهادة عند علماء العقيدة والفقه، فيمكن الرجوع إلىمظانها[1]

المطلب الثاني: إطلاقات الشهادة في القرآن الكريم

وردت لفظة (شهد) وما اشتق منها(مائة وستون) مرة، في مائةٍ وإحدى وعشرين آيةً، في ثمانيةٍ وأربعين سورة من سور القرآن الكريم. فوردت بلفظ(شهيد) ستة وثلاثين مرةً، وبلفظ(شهد) ثماني عشرة مرة، وبلفظ(شهادة) خمسة وعشرين مرة، وبلفظ (يشهد) اثنتين وعشرين مرة، وبلفظ (شهودا) ثلاث مرات، وبلفظ (شاهد) ستَّ عشرة مرة، وبلفظ (شهداء) عشرون مرة، وبلفظ (أشهدوا) أربع عشرة مرة، وبلفظ(مشهود) أربع مرات، وبلفظ (الأشهاد) مرتين)[2].

وحيث وردت كلمة (شَهِدَ) بسياقات مختلفة في القرآن وأُخبر بها عن مختلفين؛ فسأذكر المعاني التي وردت فيها مع ذكر بعض الآيات، مع التنويه إلى أن المفسرين اختلفوا في بعض الآيات، وكان ذلك اختلاف تنوع في التفسير.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي: ٤٩٢/٢ . وانظر: شرح فتح القدير لابن الهمام: ٧/ ٣٦٤، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب: ١٥١/٦، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان: ١٠٠/١، كشاف القناع عن متن الإقناع للحنبلي: ٤٠٤/٦ .

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص: ٣٨٨).

أولاً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن النبي المبلّغ، وذلك في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾(النساء: ٤١). قال البغوي (ت: ٥١٦هـ): أي: يَشْهَدُ عَلَى جَمِيعِ الأمة على مَنْ رَآهُ وَمَنْ لَمْ يَرَهُ[١]، ومنه قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾(النحل: ٨٤).

ثانياً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن المَلَك الحافظ، وذلك في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾(الزمر: ٦٩)، قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): الشُّهَدَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْحَفَظَةِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ[٢].

ثالثاً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن الشَّاهِد الذي يُخبر بالحق على المشهود عليه، وذلك في مواضع عديدة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾(البقرة: ٢٨٢)، وقوله: (وَٱسْتَشْهِدُواْ)، قال النسفي(ت: ٧١٠هـ):

واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدَين[٣]، (فأمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة، والإشهاد إنما جعل للطمأنينة؛ وذلك أنَ الله تعالى جعل لتوثيق الدّين طُرقا منها الكتاب، ومنها الرهن، ومنها الإشهاد)[٤]، ومنه قوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾(الطلاق: ٢)، ومنه قوله:

---

(١) معالم التنزيل للبغوي: ٦٢٤/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١١٨/٧.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٢٨/١.

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: ١٨٧/١ .

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾(البقرة: ١٤٣)، ونظيرها قوله: ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾(الحج: ٧٨).

رابعاً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن أمة محمد ﷺ، وذلك في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣)، ذكر السيوطي(ت: ٩١١هـ): أنهم يعنون بالشاهدين هم مُحَمَّدًا ﷺ وأمته أَنهم قد شهدُوا لَهُ أَنه بلّغ وشهدوا للمرسلين أَنهم قد بلغُوا[١].

خامساً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن القتيل في سبيل الله، وذلك في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾(النساء: ٦٩)، قالالطبري(ت: ٣١٠هـ): والشهداء وهم جمع شهيد، وهو المقتول في سبيل الله؛ سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جَنب الله حتى قتل، وقال به القرطبي(ت: ٦٧١هـ)[٢]، ومنه قوله: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾(الزمر: ٦٩)، ومنه قوله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ (الحديد: ١٩).

---

(١) الدر المنثور: ١٣٩/٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٣٢/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٢/٥ .

سادساً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن الحكم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾(يوسف: ٢٦)، قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ): فشهد شاهدٌ من أهلها، أي: حكم حاكمٌ من أهلها، لأنه حكمٌ منه وليس شهادة[١].

سابعاً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن الحضور، وذلك في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(البقرة: ١٨٥)، قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ): شهد بمعنى حضر[٢]، ومنه قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(النور: ٢)، ومنه قوله: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾(المدثر: ١٣).

ثامناً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن الإقرار، وذلك في مواضع عديدة، منهاقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾(الأعراف: ٣٧)، قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ): أقروا بالكفرعلى أنفسهم[٣]، ومنه قوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾(التوبة: ١٧).

تاسعاً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن الحلف واليمين، وذلك في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(المائدة: ١٠٧)، قال ابن الجوزي(ت: ٥٩٧هـ): المراد بالشهادة هنا اليمين، وسميت اليمين شهادة، لأنها كالشهادة على ما يحلفُ عليه أنه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٩/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٠٤/٧.

كذلك[1]، ومنه قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾(المنافقون: ١).

عاشراً: (شَهِدَ) أُخبر بها عن التصديق والتسليم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾(الأنعام: ١٥٠)، قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ): ولا تصدّق أداء الشهادة إلا من كتاب أو على لسان نبي وليس معهم شيء من ذلك، وبه قال النسفي(ت: ٧١٠هـ)[2].

الحادي عشر: (شَهِدَ) أُخبر بها عن الخبر القاطع، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(آل عمرآن: ١٨)، قال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ): شهد: أعلم وأخبر[3].

الثاني عشر: (شَهِدَ) أُخبر بها عن يوم القيامة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾(هود: ١٠٣)، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): وهو يوم القيامة تَشهده الخلائق، لا يتخلَّف منهم أحدٌ، فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذَّب رُسُلَه[4].

الثالث عشر: (شَهِدَ) أُخبر بها عن الشريك وهو الصنم أو الوثن، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(البقرة:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٥٩٩/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٠/٧، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٤٧/١.

(٣) تفسير القرآن الكريم، (ص: ١٧٧).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٧٧/١٥.

٢٣)، قال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): آلهتكم، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم[١].

فيتضح من خلال إطلاقات الشهادة في القرآن أن أكثر المعاني تدور حول التبليغ والإقرار والإخبار بأمور محددة سواء دنيوية أو أخروية، كـ (النبي) و(الملَك الحافظ)؛ فإنّ التبليغ والإقرار لهم شهادة، كما في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾(النساء: ٤١)، وقوله: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾(ق: ٢١).

وكذلك أمة محمد ﷺ يقرّون أن الرسل بلغوا أقوامهم، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة: ١٤٣)، والشهداء يقرون ويبلغون عن من ذبّ عن دين الله كما أخبر عزوجل: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(الزمر: ٦٩)، والشاهد: المخبر بالحق على المشهود واليمين والخبر القاطع إخبار وإقرار بالشهادة، كما في قوله: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾(البقرة: ٢٨٢)، وقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(آل عمران: ١٨).

***

(١) النكت والعيون: ١/٨٤.

المبحث الثاني: آيات الشهادة في القرآن الكريم ودلالتها على الإثبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شهادة الله وملائكته وأنبيائه ورسله، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: شهادة الله عزوجل: وردت آيات كثيرة في القرآن تُبين أنّ الشهادة من صفات الله ﷻ، حيث سمى الله نفسه شهيداً في عدة مواضع، منها: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدًا﴾(النساء: ٣٣)، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): فإن الله شاهد على ما تفعلون من ذلك، وعلى غيره من أفعالكم،.... ومعنى قوله: "شَهيدا": ذو شهادة على ذلك[١]، ومنهاقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾(فصلت: ٥٣)، ومنهاقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾(المجادلة: ٦)، ومنهاقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(آل عمران: ١٨)، وهي أجل الشهادات حيث إنها صادرة من الملك عزوجل ومن الملائكة وأهل العلم على توحيد الله سبحانه.

واختلف المفسرون في المراد بـ (شهد) هنا على أقوال:

القول الأول: قضى الله أنه لا إله إلا هو[٢].القول الثاني: بيّن أنه لا معبود حقيقيّ سواه[٣].القول الثالث: أعلم وأخبر[٤].

---

(١) جامع البيان عن تأويلآي القرآن: ٢٨٩/٨.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ٣٧٩/١.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي: ٢٩٥/٢.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٤٢/٤.

ومن تأمل هذه الأقوال يجد أن الآية تحتمل هذه الأقوال جميعا؛قال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ): وهذه الأقوال كلها حق، لا تنافي بينها؛ فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وقوله، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه"[١].

ومعنى شهادة الله سبحانه يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناها الإخبار بذلك، تأكيداً للخبر بالمشاهدة، كإخبار الشاهد بما شاهد؛ لأنه أوكد للخبر.

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): شهد الله تعالى وكفى به شهيداً، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين:

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه[٢].

والثاني: أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو[٣]، فشهادة الله تحقيقه ووحدانيته بالدلائل التي نصبها على ذلك[٤].

والذي يظهر-والله أعلم- أنّه ليس هناك تعارض بين هذه الأقوال؛ حيث إن للشهادة مراتب متعددة، فعبر بعض المفسرين عن الشهادة ببعض مراتبها، وعبر آخرون بمراتب أخرى كما سيتضح في مراتب الشهادة.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، (ص: ١٧٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٤.

(٣) النكت والعيون للماوردي: ١/٣٧٩.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣/١٨٦.

المسألة الثانية: شهادة الملائكة: بيّنت النصوص من الكتاب والسنة على أن الملائكة يشهدون، وقد ثبتت شهادتهم لله سبحانه بالتوحيد في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾(آل عمران:١٨)، والمراد بشهادتهم لله بالتوحيد أي: اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته وإقرارهم بذلك، قال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): فأما شهادة الملائكة وأولي العلم، فهياعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته، وقال الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ): وشهادتهم: إقرارهم بأنّه لا إله إلا الله، وقالابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ): وشهادة الملائكة تحقيقهم ذلك فيما بينهم، وتبليغ بعضهم ذلك إلى الرسل.وتشهد الملائكة على ما أنزل الله سبحانه على رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو القرآن، كما أنها أثبتت شهادة الله عزّوجل على ذلك، قال سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(النساء: ١٦٦)، قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): بصدق ما جاءك وأوحي إليك وأنزل عليك، مع شهادة الله تعالى لك بذلك، وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته.

ويظهر مما سبق أن الملائكة تشهد بأن القرآن منزّل من عند الله ﷻ على الرسول ﷺ، وشهادتهم بصدق النبي عليه الصلاة والسلام ، والاعتراف والإقرار بوحدانية الله[1].

المسألة الثالثة: شهادة الأنبياء والرسل: وفي هذه المسألة ثلاثة أمور:

الأول: شهادة الأنبياء والرسل: فقد وردت في كتاب الله آيات تبين شهادة الأنبياء والرسل، منها: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾(النساء: ٤١)، مع أنه سبحانه يعلم الغيب وأخفى، ولكن يجعل شهادة الأنبياء على أممهم قطعا لحجة الكافرين، قال السعدي(ت: ١٣٧٦هـ): أي كيف تكون تلك الأحوال، وكيف يكون ذلك الحكم العظيم الذي جمع أن من حكم به كاملُ العلم، كاملُ العدل، كامل الحكمة بشهادة أزكى الخلق وهم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه؟ فهذا الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها[2].واختلف المفسرون في شهادة الأنبياء على أممهم في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: تكون على ماذا؟ في عدة أقوال: القول الأول: أن يشهد على كلِ

(١) النكت والعيون: ٣٧٩/١، فتح القدير: ٣٧٣/١، التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٨٨٦/٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤٧٦/٢، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص : ٢١٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص: ١٧٩).

أمّته بأنه بلغها ما تقوم به الحجة عليها[١].القول الثاني: أن يشهد عليها بعملها[٢]. القول الثالث: نبي الأمة يشهد عليهم بإيمانهم[(٣)].

القول الرابع: يشهدون لهم وعليهم[٤].

وبالنظر في هذه الأقوال لا نجد تعارضاً، وإنما هو تنوع في الأقوال، فشهادة الأنبياء بالتبليغ جزء من الشهادة، ويشهدون على أقوامهم بالعمل والإيمان؛ ومحصلة الشهادة أنهم يشهدون لهؤلاء الأقوام إذا كانوا متبعين لهم، أو يشهدون عليهم إذا كانوا مكذبين لهم.

ومنها قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾(النحل: ٨٤)، فقد ذكر المفسرون أن المراد بالشهيد هنا الأنبياء، فيشهدون على أقوامهم بما فعلوا من خير أو شر، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله، وهو رسولهم الذي أرسل إليهم، وقال به الواحدي(ت: ٤٦٨هـ)، وابن كثير(ت: ٧٧٤هـ)[٥].

الثاني: شهادة عيسى عليه السلام: الآيات السابقة في شهادة الأنبياء على أممهم يدخل فيها عيسى عليه السلام؛ وجاءت آيات خاصة تدل على شهادة عيسى

(١) النكت والعيون للماوردي: ١/٤٨٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ٨/٣٦٨.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ١/٤٠٧.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، (ص: ٢٦٥).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/٢٧٤، والتفسير البسيط ١٣/١٦٥١، وتفسير القرآن العظيم: ٤/٥٩٢.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، منها قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾(النساء: ١٥٩)، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): ويوم القيامةيكون عيسى على أهل الكتاب "شهيدًا"، أي: شاهدًا عليهم بتكذيب من كذَّبه منهم، وتصديق من صدقه منهم، فيما أتاهم به من عند الله، وبإبلاغه رسالة ربه[1]، وقال البغوي(ت: ٥١٦هـ): شهيداً أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقرَّ بالعبودية على نفسه[2]، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ﴾(المائدة: ١١٧).

فلا نجد تعارضاً بين الأقوال؛ فشهادة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتبليغ والإقرار بالعبودية جزء من الشهادة، ويشهد على قومه بالتبليغ، ومحصلة الشهادة أنه يشهد لهؤلاء القوم إذا كانوا متبعين له، أو يشهدون عليهم إذا كانوا مكذبين له.

الثالث: شهادة محمد عليه الصلاة السلام: الآيات السابقة في شهادة الأنبياء على أممهم يدخل فيها النبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ وجاءت آيات خاصة تدل على شهادة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، منها: قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(الأحزاب: ٤٥-٤٦)، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): شاهداً على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة، ومبشرهم بالجنة إن صدقوك وعملوا

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩/٣٩٠.

(٢) معالم التنزيل: ١/٧٢٠.

بما جئتهم به من عند ربك، وبه قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ)[١]، ومنها قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(الفتح: ٨)، قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): "شاهِداً على الناس بأعمالهم وأقوالهم حين بلغت إليهم الشرع[٢]، وقال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): فيه ثلاثة أوجه: أحدها: شاهداً على أمتك بالبلاغ، والثاني: شاهداً على أمتك بأعمالهم من طاعة أو معصية، والثالث: مبيناً ما أرسلناك به إليهم[٣].

فالآيات السابقة ذكرت عدداً من أوصاف النبي ﷺ، وأول صفة ابتدأت بها تلك الآيتان هي الشهادة.ووصف النبي ﷺ بـ" الشهيد" كما في قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾(البقرة: ١٤٣). ونقل السيوطي(ت: ٩١١هـ) عن ابن جرير قوله: "ويكون الرسول عليكم شهيدا بما عملتم"[٤].ومثله قوله: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾(النساء: ٤١)، وكذلك قوله: ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾(الحج: ٧٨).

فمما سبق من الآيات يظهر أن شهادة النبي ﷺ تكون إمّا خاصة على أمّته دون سائر الأمم، وإما أن تكون شهادة عامة؛فالشهادة الخاصة هي شهادته على أمته، إما أنه يشهد بتبليغهم الرسالة، وإما أنه يشهد عليهم بأعمالهم وأقوالهم، أو ببيان ما أُرسل به إليهم. ومنه حديث النبي ﷺ: "وَأَنْتُمْ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٨١/٢٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٠/١٤.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٢٨/٥.

(٣) النكت والعيون: ٣١٢/٥.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٣٤٩/١.

تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ"اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"[١].وأما الشهادة العامة فهي شهادته على سائر الأمم بأن رسل الله إليهم بلغوهم، فقد ثبت في الحديث الصحيح: "يدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢].

***

(١) رواه مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، ح (١٢١٨)، (٢/٨٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، ح (٤٤٨٧)، (٦/٢١).

المطلب الثاني: شهادة عموم الخلق

أولاً: شهادة أمة محمد ﷺ: اختص الله ﷻ هذه الأمة-كما اختص رسولها ﷺ-بخصائص ميّزتها عن غيرها

من الأمم، فمن أهم هذه الخصائص أنها خير الأمم وأعدلها عند الله، قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(البقرة: ١٤٣).

ومن المعاني الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْشُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ما يلي:

- لتشهدوا على أهل الكتاب بتبليغ الرسول إليهم رسالة ربهم.
- لتشهدوا على الأمم السالفة بتبليغ أنبيائهم إليهم رسالة ربهم[١].
- لتكونوا مُحْتَجِّينَ على الأمم كلها، فعبر عن الاحتجاج بالشهادة[٢].
- لتشهدوا على من يترك الحق من الناس أجمعين[٣].

ولا اختلاف بين تلك الأقوال إذإنهم يشهدون على جميع الأمم ومنهم أهل الكتاب.

ثانياً: شهادة أهل الكتاب: وردت آيات تدل على شهادة أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ منها: قوله: ﴿ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾(البقرة: ٨٤)، (يقول تعالى منكراً على اليهود الّذين كانوا في زمن الرسول ﷺ بالمدينة، وما كانوا يُعانونه من القتال مع الأوس والخزرج؛ وذلك أن الأوس والخزرج، وهم

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ٢١٩/١.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ١٩٩/١.

(٣) معالم التنزيل للبغوي: ١٧٥/١.

الأنصار، كانوا في الجاهلية عبّاد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بني قينقاع، وبني النضير حلفاء الخزرج، وبني قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كلّ فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعدائه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينه ونصّ كتابه، ويخرجونهم من بيوتهم وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكُّوا الأسارى من الفريق المغلوب، عملاً بحكم التوراة، فقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحّته وأنتم تشهدون به)[1].

ومنها قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(المائدة: ١١٢ـ ١١٣)، أخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهماالإيمان على ملازمة التقوى، والانقياد لأمر الله، وإنما لهم مقاصد أخرى، ولأجل الحاجة إلى ذلك فـ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾؛وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾بالإيمان حين نرى الآيات العيانية، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين، كما سأل الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾(البقرة: ٢٦٠)فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾(أي:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/٣١٩.

نعلم صدق ما جئت به؛ أنه حق وصدق، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك؛ فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك)[١].فالحواريون علّقوا تصديقهم بعيسى-عَلَيْهِ السَّلَامُ-على نزول هذه الآية التي طلبوها، وأخبروا أنهم سيشهدون لعيسى بالصدق متى نزلت هذه الآية، فأنزلهاالله عَزَّ وَجَلَّ على القول الصحيح[٢].

ثالثاً: شهادة الأرض على العباد يوم القيامة: ورد موضع واحد في القرآن يفيد شهادة المكان على العبد من خير أوشر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾(الزلزلة: ٤/٦).قال ابن عطية(ت: ٥٤٢هـ): في قوله: ﴿يَصْدُرُ﴾ والصدر هو القيام للبعث، وأَشْتاتاً معناه: قوم مؤمنون وقوم كافرون، وقوم عصاة مؤمنون، والكل سائر إلى العرض ليرى عمله، ويقف عليه[٣].وقد ورد في السنة ما يدل على تلك الشهادة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: " أتدرون ما أخبارها"؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنَ أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ أو أمَةٍ بما عَمِل على ظهرها أن تقول: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا "، قَالَ: فهذه أخبارها"[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص : ٢٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/ ٢٢٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/٥١١.

(٤) رواه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة إذا زلزلت الأرض، ح (٣٣٥٣)، (٥/٤٤٦)، وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح.وابن حبان في صحيحه، كتاب:

وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ على عدة أقوال: قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): (يومئذ تحدث الأرض أخبارها)، وتحديثها أخبارها أن تتكلم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحى إليّ به، وأذن لي فيه[١]، وقال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة، وقيل: تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها، فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى، وأن أمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن[٢]، فهذا القول لا يلزم أن يكون تحديثها بأخبارها شهادتها على العباد بما عملوا، إنما تخاطب الإنسان بعد قيامه من قبره وسؤاله عما حدث للأرض من الزلزلة، وقال القرطبي(ت: ٦٧١هـ): أي تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر، ثم قيل: هو من قول الله ﷻ، وقيل: من قول الإنسان أي: يقول الإنسان مالها تحدث أخبارها، متعجباً[٣].

والذي يظهر-والله أعلم-أنه من قول الله ﷻ وذلك من خلال سياق الآيات؛ ولأن الله أسند القول للإنسان في الاستفهام حين قال سبحانه: ﴿وَقَالَ

إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: إخباره ﷺ عن البعث، ح(٧٣٦٠)، (٣٦٠/١٦)، قال الألباني: صحيح.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القران: ٢٤/ ٥٤٨.

(٢) النكت والعيون: ٣١٩/٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/٢٠.

ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾(الزلزلة: ٣).وهذا- والله أعلم- هو القول الراجح بأنها تشهد على العباد بما عملوا، وذلك لعدد من الأدلة منها:

شهادتها للمؤذن يوم القيامة: فعن عبدالرحمن بن عبدالله الأنصاري، عن أبيه، أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: "...، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَة، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ "[١]، قال ابن حجر(ت: ٨٥٢هـ): المراد من هذه الشهادة اشتهار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلوّ الدرجة، وكما أن الله يفضح بالشهادة قوماً فكذلك يكرم بالشهادة آخرين[٢]، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: "الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ بِمَدِّ صَوْتِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ"[٣] فقوله: "كل رطب ويابس": يدل على أن الجمادات، سواء كانت رطبة أو يابسة، فإن لها سماعا في الدنيا وشهادة في الآخرة[٤]، فدل ذلك على صحة أشياء مختلف في بعضها، منها إدراك الجمادات ونطقها. وقد أثبت ذلك جمهور السلف، سواء كانت رطبة أو يابسة، كما دل عليه قوله: ﴿يَٰجِبَالُ

(١) رواه البخاري، كتاب: الأذان، باب: رفع الصوت بالنداء، ح(٦٠٩)، (١/ ١٢٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٨٩/٢ .

(٣) رواه النسائي، باب: رفع الصوت بالأذان، ح (٦٤٥)، (١٢/٢)، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف النسائي للألباني ٢٨٩/٢ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لا بن رجب: ٢٢٧/٥ .

أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾(سبأ: ١٠)، وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾(الإسراء: ٤٤)، فهذه الأحاديث تثبت شهادة الأرض يوم القيامة.

ومنها شهادة الشجرة للنبي ﷺ بالرسالة: فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟ قَالَ: وَمَا هُوَ، قَالَ: تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَذِهِ السَّلَمَةُ[(١)]"، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ،...[(٢)]. وهذا الحديث يثبت شهادة الشجرة للنبي ﷺ في الدنيا، وهي من معجزاته ﷺ، فمن باب أولى في الآخرة لأن الآخرة؛ أعظم أهوالاً من الدنيا، فيثبت ما هو زيادة فلا مجال لإنكار شهادة الجمادات في الآخرة.

ومنها شهادة الحجر الأسود لمن استلمه بحق: ففي الحديث الذي رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ"[(٣)]، فهذا الحجر

---

(١) السلمة: شجرة. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٦٩٤/٣.

(٢) مسند الدارمي، كتاب: علامات النبوة، باب: ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن، ح(١٦)، (١/ ٥٠)، يرويه عن ابن عمر، قال الداراني: حديث صحيح، وفي صحيح ابن حبان، ح (٦٥٠٥)، (٤٣٤/١٤)، روي بلفظ : (هذه السمرة)، قال الألباني: صحيح.

(٣) السنن الصغرى للنسائي، كتاب: مناسك الحج، باب: ذكر الحجر الأسود، ح(٢٩٣٥)،

الأسود يشهد على الإنسان يوم القيامة، فقد ورد عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لهذا الحجر لساناً وشفتين، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق"[1].

وفي لفظ آخر لابن عباس ﵄ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الحَجَرِ: "وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ"[2]، وفي رواية "لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجَرُ،..."[3].

وقوله: "على من يستلمه بحق" أي: ملتبسًا بحق، وهو دين الإسلام، واستلامه بحق هو طاعة الله واتباع سنة نبيه ﷺ، لا تعظيم الحجر نفسه.

(٢٢٦/٥)، قال الألباني: صحيح، ورواه الترمذي بإضافة (نزل) في أبواب: الحج، باب: فضل الحجر الأسود، ح(٨٧٧)، (٢١٧/٣)، وقال: حسن صحيح.

(١) صحيح ابن خزيمة، كتاب: المناسك، باب: ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما أراد بذكره الركن في هذا الخبر، ح (٢٧٣٦)، (٢٢١/٤)، قال الألباني: إسناده صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الحج، باب: فضل مكة، ح (٣٧١١)، (٢٥/٩)، قال الألباني: صحيح.

(٢) رواه الترمذي، كتاب: أبواب الحج، باب: ما جاء في الحجر الأسود، ح (٩٦١)، (٢٨٥/٣)، وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجه بلفظ: "لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجَرُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ....الخ"، باب استلام الحجر، ح (٢٩٤٤)، (٩٨٢/٢). قال الألباني: صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: استلام الحجر، برقم (٢٩٤٤)، (٩٨٢/٢)، وهو في "صحيح ابن حبان"، كتاب: الحج، باب: فضل مكة، ح (٣٧١١)، (٢٥/٩). قال الألباني: صحيح.

والشهادة عليه هي الشهادة على أدائه حق الله المتعلق به، قال المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ): (والحديث محمول على ظاهره، فإن الله تعالى قادر على إيجاد البصر والنطق في الجمادات؛ فإن الأجسام متشابهة في الحقيقة، يقبل كل منهما ما يقبل الآخر من الأعراض، ويؤوله الذين في قلوبهم زيغ التفلسف، ويقولون: إن ذلك كناية عن تحقيق ثواب المستلم، وأن سعيه لا يضيع)[١].فهذه الأحاديث تثبت شهادة الحجر الأسود لمن استلمه بحق.

فالراجح إثبات شهادة الحجر الأسود، ومن تأول الأحاديث فليس له حجة؛ حيث ورد في الحديث السابق قوله: "له عينان يبصر بهما"، وهذا وصف لأحياء لا مجال فيه للإنكار ولا للتأويل، حيث إن من ينكرها فهو ينكر نصاً معصوماً.

***

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ٣١/٤.

المبحث الثالث: إقامة الحجة على العباد يوم القيامة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إقامة الحجة بكتابة الأعمال والشهادة عليها، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إقامة الحجة بكتابة الأعمال، وفيها أمران:

الأول: كتابة الأعمال إلى الله عزوجل: وردت آيات بإسناد كتابة أعمال العبد إلى الله ﷻ في عدة مواضع، منها: قوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(آل عمران: ١٨١)، قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ): أي نأمر الحفظة بإثبات قولهم حتى يقرأوه يوم القيامة في كتبهم التي يؤتونها، حتى يكون أوكد للحجة عليهم، وقال به الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ)[١]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾(النساء: ٨١)، قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين، الذين هم موكلون بالعباد[٢]، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾(يس: ١٢)، قال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): نكتب ما قدموا و ما عملوا من خير أو شر، وآثارهم: ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم، وقال به الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ)[٣].وعن ابن عباس(ت: ٦٨هـ) رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ... "[٤]، قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): ومعنى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٩٤/٤، فتح القدير للشوكاني: ٤٦٥/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٦٤/٢.

(٣) النكت والعيون: ٩/٥، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٩٠/١١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من همّ بحسنة أو بسيئة، ح (٦٤٩١)، (١٠٣/٨)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا همّ العبد بحسنة كتبت،، ح (١٣١)،

قوله كتبها الله: أمر الحفظة بكتابتها؛ بدليل حديث أبي هريرة ﵁، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا"(١)، وفيه دليل على أنّ الملكيطّلع على ما في قلب الآدمي، إمّا باطلاع الله إيّاه أو بأن يخلق له علماً يدرك به ذلك(٢).

الأمر الثاني: كتابة الملائكة للأعمال: وردت آيات تدل على أنه سبحانه قد أوكل كتابة الأعمال إلى الملائكة الحافظين، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾(الانفطار: ١٠-١٢)، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم(٣).وقوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾(يونس: ٢١)، قال السعدي(ت: ١٣٧٦هـ): تكتب الملائكة عليهم ما يعملون، ويحصيه الله عليهم، ثم يجازيهم الله عليه أوفر الجزاء(٤)، وقوله: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾(الزخرف: ٨٠)، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم،

(١١٨/١).

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: "يريدون أن يبدّلوا كلام الله" ح (٧٥٠١)، (١٤٤/٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: ٣٢٥/١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣٤٤/٨.

٤() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص : ٣٦١).

وأخفوه عن الناس من سرّ كلامهم، وحفظتنا لديهم، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم، وبه قال الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ)[1]، وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(ق: ١٧-١٨)، قالمجاهد(ت: ١٠٤هـ): ملك عن يمينه، وآخر عن يساره، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشرّ[2]، فدلّت الآيات السابقة على أن الملائكة تكتب أعمال العباد، وأن الله ﷻ وكّل بكل إنسان ملكين أحدهما لكتابة الحسنات، والآخر لكتابة السيئات.

المسألة الثانية: إقامة الحجة بالشهادة على الأعمال، وفيها أمران:

الأمر الأول: شهادة الله ﷻ: إنَّ شهادة الله ﷻ تتضمن شهادته على كل شيء، ومنها شهادته على أعمال العباد، حيث قال سبحانه: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(المؤمنون: ٥١)، وقال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٨٣).ومن الأدلة التي تثبت علمه سبحانه بأعمال العباد، قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾(يونس: ٦١)، فالخطاب هنا للنبي عليه السلام ولأمته، ما من شأن أو خطب سواء من عبادة أو غيرها إلا والرب مطّلع عليها ويعلمها[3]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٤٧/٢١، فتح القدير: ٦٤٨/٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ٢٢/ ٣٤٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٥٦/٨.

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾(المجادلة: ٧)، فيخبر سبحانه عن إحاطة علمه بخلقه واطّلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا[١]، وشهادته سبحانه على أعمال عباده حيث قال: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾(يونس: ٤٦)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): يقول جل ثناؤه: ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأنا عالم بها لا يخفى عليّ شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ومرجعهم، جزاءهم الذي يستحقُّونه.[٢]

الأمر الثاني: شهادة الملائكة على الأعمال.

أ- شهادة الملائكة على العباد: في المبحث السابق ذكرنا كتابة الملائكة لأعمال العباد، وأن كل إنسان وكل الله له ملكين يكتبان أعماله، وسيجد كل إنسان ما عمل من خير أو شر في كتابه. وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة على إثبات شهادة الملائكة على العباد يوم الحساب، كقوله: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾(الزمر: ٦٩).وفي المراد بالشهداء أقوال: القول الأول: أنهم الذين يَشْهَدونَ على الناس بأعمالهم[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٨/٤١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥/٩٨.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٤/٢٦.

والقول الثاني: "الذين اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ "[1].واختلف أصحاب القول الأول في المراد بالشهداء على أقوال:

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير أو شر[2].

وقال ابن عطية(ت: ٥٤٢هـ): المراد أمة محمد الذين جعلهم الله شهداء على الناس[3].

وقال ابن الجوزي(ت: ٥٩٧هـ): أنهم المرسلون من الأنبياء[4].

وقال السعدي(ت: ١٣٧٦هـ): (وَالشُّهَدَاءِ) من الملائكة، والأعضاء والأرض[5].

والراجح-والله أعلم-أنهم الشهداء من الملائكة والأعضاء والأرض، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾(ق: ٢١)، فالضمير بينهم عائد إلى من في السموات ومن في الأرض، أي قُضي بين الناس بالحق.

فمما سبق يتضح لنا أن الملائكة يشهدون على العباد بما عملوا، سواء كانوا من الشهداء الذين يشهدون كما هو القول الأول، أو شهادة الحفظة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٨٣/١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١١٨/٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٤٢/٤.

(٤) زاد المسير في علم التفسير: ٢٦/٤.

(٥) تفسير السعدي(ص: ٧٢٩).

خاصة.وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾(غافر: ٥١)، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذّبتهم[١]، وقال مجاهد(ت: ١٠٤هـ): أنهم الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأمم بالتكذيب[٢]، وقال مقاتل(ت: ١٥٠هـ): هم الحفظة من الملائكة[٣]، ويُبيّن ذلك حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟"قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "[٤]، فقوله: "وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا"يدل على أن الملائكة من ضمن الشهداء على العباد. وقوله: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾(ق: ٢١)، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): (سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) قال: الملَكان: كاتب، وشهيد"[٥]، وقال البغوي(ت: ٥١٦هـ):

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٠٢/٢١.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ١٦٠/٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣ .

(٤) رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الزهد، ح(٢٩٦٩)، (٢٢٨٠/٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٤٨/٢٢.

جاءت ذلك اليوم، كل نفس معها سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد يشهد عليها بما عملت

وهو عمله، وقال به ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ)[١]، وقال الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ): السائق: ملك والشهيد: جوارح

الإنسان، قاله ابن عباس(ت: ٦٨هـ)، والضحاك(ت: ١٠٦هـ)، وتعقبه ابن عطية(ت: ٥٤٢هـ) بقوله: وهذا بعيد عن

ابن عباس(ت: ٦٨هـ)؛ لأن الجوارح إنما تشهد بالمعاصي[٢].

والذي يظهر- والله أعلم- أن السائق ملك يسوقه، والشهيد ملك يشهد عليه؛ لأن سياق الآية يدل أن ذلك يكون يوم القيامة، فهذا يدلّ على أن الملائكة يشهدون على العباد يوم القيامة.

ب- شهادة الملائكة على كتاب الأبرار: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾(المطففين: ١٨-٢١)، فالأبرار هم: المؤمنون الصادقون في إيمانهم[٣]، وقيل: هم المطيعون[٤]، ولا تعارض بينهما فالمؤمنون الصادقون هم مطيعون لله سبحانه[٥].وشهادة المقربين لهذا الكتاب، أي: يحضر المقرَّبون من

---

(١) معالم التنزيل: ٢٧٣/٤، تفسير القرآن العظيم: ٤٠١/٧.

(٢) روح المعاني: ٣٣٤/١٣.

(٣) تفسير الجلالين: ٧٩٧/١ .

(٤) فتح القدير للشوكاني: ٤٨٧/٥.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآي والسور: ٣٢٥/٢١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:

الملائكة ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين[1]، والمقربون المذكورون هم الملائكة والنبيون، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): المقرّبون من ملائكته من كلّ سماء من السموات السبع، وقال به النسفي(ت: ٧١٠هـ)[2].

فالشهادة تكون خاصة بالأبرار دون الفجار، كما بيّن سبحانه ذلك في سياق الآيات بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧...﴾(المطففين: ٧-١٧)، قال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ): أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار، أنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين سادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار، تنويها بكتاب الأبرار وما وقع لهم به، وإشهارا له وإظهارا لمكانتهم بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقيع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة، تنويها باسم المكتوب له، وإشهارا بذكره، وهذا نوع من صلاة الله ﷻ وملائكته على عبده[3]. فهذه الشهادة تكون في الجنة من باب التكريم لهم، حيث تختلف عن الشهادة التي تكون في الحساب، إذإن الشهادة وقت الحساب للمؤمن والفاجر، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ

٦٦١٦/٣.

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٤١٦/٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٩٤/٢٤، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦١٦/٣، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣٢٧/٢١.

(٣) تفسير القرآن الكريم "التفسير القيّم"، (ص: ٥٦٥).

أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(هود: ١٨)، والمراد بالأشهاد في هذه الآية: قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وقال به القرطبي(ت: ٦٧١هـ)[١]، وقال البغوي(ت: ٥١٦هـ): إنهمُ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام [٢].والفائدة من قول الأشهاد بهذه المقالة المبالغة في فضيحة الكفار، والتقريع لهم على رؤوس الأشهاد[٣].فعلى تلك الأقوال –والله أعلم- يتضح أن الأشهاد هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون(فالآية تفسر على العموم) التي تشهد على العبد يوم القيامة حيث إنّهم كَانُوا يحفظون أَعْمَالهم عَلَيْهِم فِي الدُّنْيَا، سواء كان هذا العبد مؤمنا أو كافرا، ويشهدون شهادة تكريم للمؤمنين في الجنة.

***

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٨٢/١٥،والجامع لأحكام القرآن: ١٨/٩.

(٢) معالم التنزيل: ١٦٨/٤.

(٣) فتح القدير: ٥٥٧/٢.

المطلب الثاني: إقامة الحجة بشهادة الأعضاء يوم القيامة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الآيات الواردة في شهادة الأعضاء:

وردت آيات في كتاب الله ﷻ تتحدّث عن شهادة الأعضاء على الكفار والمنافقين يوم القيامة، ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ (النور: ٢٤).قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): في يوم القيامة حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله إياه بها، فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون[١]، وقال ابن عثيمين(ت: ١٤٢١هـ): ذكر الله تعالى أن الألسن تشهد؛ لأن اللسان هو أعظم الجوارح خطراً، وذكر الألسن في سورة النور؛ لأنّه ذكر فيها ما يتعلّق بذلك من الأمور العظيمة كالقذف، وأعظمه قذف عائشة رضي الله عنها، ولذا ذكرت في سورة النور الألسن؛ لأن القذف قول، واليد تتكلم، تقول: عملت كذا، عملت كذا، والأرجل تقول: أشهد أنه عمل كذا وكذا[٢].

فهذه الآية أثبتت شهادة اليدين، والرجلين، واللسان، ولم تذكر شهادة اللسان إلا في هذه الآية، والمشهود محذوف وهو ذنوبهم التي اقترفوها، أي: تشهد هذه عليهم بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها[٣].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ١٩/١٤٠.

(٢) تفسير القرآن الكريم (سورة يس)، (ص: ٢٣١) .

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٤/٢١.

وجاء الختم في القرآن الكريم في خمسة مواضع:

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾(البقرة: ٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾(الأنعام: ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾(الشورى: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾(الجاثية: ٢٣)، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(يس: ٦٥)، فنلاحظ في تلك الآياتأن الختم يكون في الدنيا، فيشمل القلوب والأسماع، فالوقت الذي كان الختم فيه على قلوبهم كان قولهم بأفواههم كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾(التوبة: ٣٠)، أما يوم القيامة فيكون الختم على الأفواه، فلزم أن يكون قولهم بأعضائهم؛ لأن الإنسان لا يملك إلا القلب واللسان والأعضاء، قال الماوردي(ت: ٩٧٢هـ): قوله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾فيه وجهان: أحدهما: أن يكون منعها من الكلام هو الختم عليها. والثاني: أن يكون ختماً يوضع عليها فيرى ويمنع من الكلام[1].

ومن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ

(١) النكت والعيون: ٥/٢٧ .

سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾(فصلت: ١٩-٢٢)، فذكر سبحانه في هذه الآيات أن الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله لها إذا أنكروا الأفعال التي فعلوها في الدنيا، قال ابن عطية(ت: ٥٤١هـ): وهذا وصف حال من أحوالهم في بعض أوقات القيامة، وذلك عند وصولهم إلى جهنم فإن الله تعالى يستقرهم عند ذلك على أنفسهم، ويسألون سؤال توبيخ عن كفرهم فينكرون ذلك، ويحسبون أن لا شاهد عليهم، ويظنون السؤال سؤال استفهام واستخبار، فينطق الله تعالى جوارحهم بالشهادة عليهم(١).

وخص هذه الأعضاء الثلاثة؛ (لأن أكثر الذنوب إنما تقع بها أو بسببها)(٢)، قال الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ): فالله سبحانه ذكر هنا ثلاثة أنواع من الحواس، وهي: السمع والبصر واللمس، وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشّم، فالذّوق داخل في اللّمس من بعض الوجوه؛ لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام، وكذلك الشمّ لا يتأتى حتَّى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس وإذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصِيص الجلود بالسؤال لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس، فكان تأتِي المعصية من جهتها أكثر وأما على

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/١٠.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص: ٧٤٧).

قول من فسر الجلود بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر، لأن ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحًا، وأجلب للخزي، والعقوبة(١).

ومما سبق نرى أن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء على الكفار والمنافقين في ثلاثة مواضع في كتاب الله، في سورة (النور) حيث ذُكرت شهادة الألسن والأيدي والأرجل، وفي سورة (يس) ذُكرت الأيدي والأرجل، وفي سورة (فصلت) ذكرت شهادة السمع والبصر والجلود، فهذه الآيات دليل قاطع على شهادة الأعضاء على الإنسان في ذلك اليوم.

المسألة الثانية: الأعضاء التي تشهد على الإنسان:

دلّت النصوص السابقة على أن شهادة الجوارح على الإنسان في عدد من الأعضاء، وهي:

أولاً: الألسن: ورد عدد من الأدلة تثبت شهادة الألسن على الإنسان يوم القيامة، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾، ولم يذكر في كتاب الله أن الألسنة تشهد إلا في هذا الموضع.وورد عدد من الأحاديث التي تثبت ذلك، ومنها: حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عُرِّفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ، فَيُقَالُ: هَؤُلَاءِ جِيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُولُ: أَهْلُكُ، عَشِيرَتُكَ؟ فَيَقُولُ: كَذَبُوا،

---

(١) فتح القدير: ٤/٥٨٧.

فَيَقُولُ: احْلِفُوا، فَيَحْلِفُونَ، ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللَّهُ وَتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ"(١).

ثانياً: الأيدي: فقد ورد عدد من الأدلة تُثبت شهادة الأيدي على الإنسان يوم القيامة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ﴾(يس: ٦٥)، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ﴾(النور: ٢٤)، قال الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ): وفي كلامها ثلاثة أقاويل، أحدها: أنه يظهر منها سِمة تقوم مقام كلامها، الثاني: أن الموكلين بها يشهدون عليها، الثالث: أن الله تعالى يخلق فيها ما يتهيأ معه الكلام منها، والثالث أرجح ـ والله أعلم ـ لأن الله قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، وورد الدليل صريحاً على أن الأيدي تتكلم(٢).

ثالثاً: الأرجل: وردت الأدلة التي تثبت شهادة الأرجل على الإنسان يوم القيامة، منها قوله تعالى: ﴿وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾، وحديث جابر رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: "أَلَا تُحَدِّثُونِي

---

(١) مسند أبي يعلى، من مسند أبي سعيد الخدري، ح (١٣٩٢)، (٢/ ٥٢٧)، وقال حسين سليم: إسناده ضعيف، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح (١٨٣٩٨)، (٣٥١/١٠)، وقال: إسناده حسن على ضعف فيه، وأخرجه الحاكم في مستدركه بلفظ: (عُيّر الكافر بعمله)، كتاب: القضاء، باب: ذكر الإخبار عما يجب على المرء من معونة الضعفاء وأخذ مالهم، ح (٨٧٩٠)، (٤/ ٦٤٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(٢) روح المعاني: ٤٣/١٢.

بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟ " قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ(١) إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتْ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَدَقَتْ صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟"(٢)، فعندما قالت تلك المرأة: (وتكلمت الأيدي والأرجل) صدقها النبي عليه الصلاة والسلام لذلك.قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): (وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم): فجعل ما كان من اليد كلاماً، وما كان من الرجلشهادة، قيل: لأن اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه إقرار؛ فلذلك عبّر عما صدر من الأيدي بالقول، وعما صدر من الأرجل

---

(١) الغَدْرُ: ضدُّ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، تَقُولُ: غَدَرَ إذا نَقَضَ الْعَهْدَ، وَرَجُلٌ غادِرٌ وغَدَّارٌ. انظر: لسان العرب لابن منظور ٩/٥.

(٢) سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح (٤٠١٠)، (١٤٣/٥)، قال شعيب: صحيح لغيره، وأخرجه ابن حبان صحيحه، ح (٥٠٥٨)، (٤٣٣/١١)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ح (٢٠٠٣)، (٧/٤)، قال الألباني: حسن .

بالشهادة[1]؛ونسبة التكليم إلىالأيدي دون الشهادة لمزيد اختصاصها بمباشرة الأعمال، حتى أنه كثر نسبة العمل إليها بطريق الفاعلية، كما في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾(النبأ: ٤٠)[2]، وقال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ): أثبت الكلام للأيدي أولاً؛ لأنها كانت مباشرة دليلاً على حذفه من حيز الأرجل، وأثبت الشهادة للأرجل ثانياً؛ لأنها كانت حاضرة دليلاً على حذفها من حيز الأيدي أولاً، وبقرينه أن قول المباشر إقرار وقول الحاضر شهادة[3].

رابعاً: السمع: وردت أدلة تثبت شهادة السمع على الإنسان يوم القيامة، منها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ﴿٢٠﴾﴾(فصلت: ٢٠)، قال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): شهد عليهم بِأَعْمَالِهِمْ مِمَّا قَدَّمُوهُ وَأَخَّرُوهُ، لَا يُكْتَم مِنْهُ حَرْفٌ[4].

خامساً: البصر: من الأدلة على أن البصر يشهد على الإنسان يوم القيامة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَعَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ﴾(فصلت: ٢٠)،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٤٩/١٥.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ٤١/١٢.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥٧/١٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ١٧٠/٧

قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): حتى إذا ما جاءوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويسمعون له[١].

سادساً: الجلود: وقد ورد عدد من الأدلة تثبت شهادة الجلود على الإنسان يوم القيامة، ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(فصلت: ٢٠).

وقد اختلف المفسرون في معنى الجلود على أقوال:

١- قال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): أنها الجلود نفسها[٢].

٢- قال ابن الجوزي(ت: ٥٩٧هـ) أنها الفروج وروي ذلك عن ابن عباس[٣].

أما على قول من فسّر الجلود بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر، (لأنّ ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحاً، وأجلب للخزي، والعقوبة)[٤].

والصحيح- والله أعلم- القول الأول، وهو أن المراد بالجلود: الجلود نفسها؛ لأن ذلك ظاهر الآية.

وهناك بعض الأعضاء ثبتت شهادتها في السنة المطهرة وهي:

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٥١/٢١.

(٢) النكت والعيون: ١٧٦/٥.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٤٩/٤.

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥٨٧/٤.

سابعاً: الفخذ: وهو وصل ما بين الورك والساق،...، [(1)] ويوجد بها عظم واحد، وهي أقوى عظم في الهيكل العظمي للإنسان.

ثامناًوتاسعاً: العظم، واللحم: وقد ورد إثبات شهادة هذه الأعضاء على الإنسان (الفخذ والعظم واللحم) في حديث سُهَيْلِبْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْأَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِيالظَّهِيرَةِ،...، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْك، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىفِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ"(٢).

قوله: "فيختم على فيه" هذا هو موضع الشاهد، أي: يمنع من الكلام المكتسب له، وينطق لسانه وسائر أركانه بكلام ضروري لا كسب له فيه، ولا قدرة على منعه، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ﴾(فصلت: ٢٠)، فإذا شهدت عليه أركانه بعمله خُلي بينه وبين الكلام المقدور له، فيلوم جوارحه الشاهدة عليه بقوله "ويلكنّ فعنكنَّ كنت أناضل(٣)" (أي: أدافع وأحتج)(٤).

(١) انظر: العين للخليل الفراهيدي: ٢٤٥/٤، مادة(ف خ ذ).

(٢) رواهمسلم، كتاب: الزهد والرقائق، بلا باب، ح (٢٩٦٨)، (٤/ ٢٢٧٩).

(٣) جزء من مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، بلا باب، ح(٢٩٦٩)، (٢٢٨٠/٤).

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، كتاب ذكر الموت وما بعده، باب شهادة أركان الكافر عليه يوم القيامة ١٩٨/٧ .

أول الأعضاء شهادة بعد الختم على اللسان: دلت الأحاديث النبوية على أن أول الأعضاء شهادة هي الكف والفخذ، كما ورد عن مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ﵁، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ بِعَدَدِ أَصَابِعِي هَذِهِ أَلَّا أَتَّبِعَكَ وَلَا أَتَّبِعَ دِينَكَ،...، وَإِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّمٌ عَلَى أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ(١)، فَأَوَّلُ مَايُنْبِئُ عَنِ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ" قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَذَا دِينُنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ، وَإِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ وَعَلَى أَقْدَامِكُمْ وَرُكْبَاناً"(٢).

كذلك حديث حَكِيمِ بْنِ مُعَاوية، عَنْ أَبِيهِ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " تَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَ الْآدَمِيِّ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ "(٣)، قال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ)في الحكمة من كون أول الأعضاء نطقاً

(١) الفِدام: ما يُشَدّ على فَمِ الإبْرِيق والكُوز مِن خِرْقةٍ لتَصْفِيَة الشَّراب الذي فيه، أَيْ: أنهم يُمْنَعون الكلامَ بأفواهِهم حتى تَتَكَّلم جوارِحُهم، فشَبَّه ذلك بالفِدام، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٤٢١/٣ .

(٢) جامع معمر بن راشد الأزدي (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، ١٣٠/١١ برقم (٢٠١١٥)، قال ابن عدي: بهز بن حكيم أرجو أنه لا بأس به في رواياته ولم أر أحدا تخلف في الرواية من الثقات ولم أر له حديثا منكرا . انظر: مختصر الكامل في الضعفاء، لأحمد بن علي المقريزي، ١٩٩/١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند عن طريق الجريري في مسند البصريين، باب: حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، ح(٢٠٠٢٦)، (٢٢٩/٣٣)، قال شعيب: إسناده حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة السجدة، ٤٧٧/٢، ح (٣٦٤٥)

الكف والفخذ: "عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ الْحَضْرَمِيِّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ عقبة بن عامر ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يُخْتَمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، فَخِذُهُ مِنَ الرِّجْلِ الشِّمَالِ"(١)، فاحتمل أن يكون تقدم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء؛ لأن لذة معاصيه يدركها بحواسه التي في الشطر الأعلى من جسده، وأقرب أعضاء الشطر الأسفل منها الفخذ، فجاز لقربه منها أن يتقدم في الشهادة عليها، وتقدمت اليسرى، لأن الشهوة في ميامن الأعضاء أقوى منها في مياسرها، فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها"(٢).قال القرطبي(ت: ٦٧١هـ) بعد أن نقل قول الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): أو بالعكس لغلبة الشهوة، أو كلاهما معاً والكفّ، فإنّ بمجموع ذلك يكون تمام الشهوة واللذة، والله أعلم(٣).

بلفظ (يجيئون)، قال الحاكم: هذا حديث مشهور ببهز بن حكيم، عن أبيه، وقد تابعه الجُريري، فرواه عن حكيم بن معاوية وصحَّ به الحديث ولم يخرجاه.

(١) رواه أحمد (١٥١/٤) (١٧٤١٢)، والطبري في (تفسيره) (٥٤٥/٢٠)، وابن أبي حاتم في (تفسيره) (٣١٩٨/١٠). قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٣٥١/١٠): رواه أحمد والطبراني وإسنادهما جيد. قال الألباني في (السلسلة الصحيحة) بعد حديث (٢٧١٣): أخرجه أحمد... وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، فهو صحيح لولا شيخ الحضرمي، فإنه لم يسم. وعلّق على كلام الهيثمي قائلاً: فهو غير جيد. ثم قال على إسناد الطبري: فهذا إسناد صحيح إن كان شريح سمعه من عقبة، فقد اختلفوا في سماعه من أحد من الصحابة.

(٢) النكت والعيون: ٢٩/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤٩/١٥.

وقد تكون الحكمة من تقديم الفخذ والكف في النطق ما ذكره الماوردي(ت: ٤٥٠هـ)، والقرطبي(ت: ٦٧١هـ) في تفسيريهما، وقد تكون غير ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولا نجزم بشيء لا دليل عليه.

المسألة الثالثة: شهادة الأعضاء يوم القيامة بين العموم والخصوص:

حقيقة شهادة الأعضاء:

دلت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين على أن جوارح العبد تشهد عليه يوم القيامة حقيقة، كما ورد في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾(يس: ٦٥)، وورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يُخْتَمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، فَخِذُهُ مِنَ الرِّجْلِ الشِّمَالِ"(١)، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: " إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم فيختصمون، فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى، فيحلفون له كما يحلفون لكم، فيبعث الله عليهم حين يجحدون شهوداً من أنفسهم جلودهم، وأبصارهم، وأيديهم وأرجلهم، ويختم على أفواههم، ثمَّ تفتح الأفواه، فتخاصم الجوارح فتقول: أنطقنا الله الذي أنطق كلَّ شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون"، فتقرُّ الألسنة

(١) سبق تخريجه (ص: ٣١).

بعد(١). ولم أجد من أنكره، إلا في بعض الجوانب المتعلقة في هذه الشهادة مثل كيفية نطق هذه الجوارح.

أ- **حقيقة نطق الأعضاء**: يرى المعتزلة أن الله تعالى خلق فيها الكلام، فقولهم: المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف إلى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى، ويجوز أن يبني الله هذه الجوارح على خلاف ماهي عليه ويلجئها إلى أن تشهد على الإنسان وتخبر عن أعماله(٢)، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): إن قلت: كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق؟ قلت: الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما(٣). ويقصد: «كما أنطق الشجرة» على زعم المعتزلة أن تكليمه مع موسى عليه السلام هو خلقه الكلام في الشجرة التي كانت عند الطور. وقد رد الرازي(ت: ٦٠٦هـ) على قول المعتزلة الذين يقولون: إنَّ الله تعالى خلق الكلام في الشجرة، وكان المتكلم بذلك هو الله تعالى لا الشجرة، بقوله: " لوقلنا إنَّ الله خلق الأصوات والحروف في تلك الأعضاء لزم أن يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك، ولزم أن يكون المتكلم بذلك الكلام؛ هو الله لا تلك الأعضاء، وظاهر القرآن يدلُّ على أنَّ تلك الشهادة شهادةٌ صدرت من تلك الأعضاء لا من الله تعالى لأنه تعالى قال: "شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ"، وأيضاً أنَّهم قالوا لتلك

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣٢٧١/١٠.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمي: ١٧٣/٥ .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٩٥/٤ .

الأعضاء: "لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا" فقالت الأعضاء: "أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ"، وكل هذه الآيات دالّةٌ على أنَّ المتكلم بتلك الكلمات هي تلك الأعضاء، وأن تلك الكلمات ليست كلام الله"(١).

وقال ابن تيمية(ت: ٧٢٦هـ): (قالت المعتزلة(٢): المتكلم من فعل الكلام ولو أنه أحدثه في غيره؛ ليقولوا إن الله يخلق الكلام في غيره وهو متكلم به، ويقولون إنه خلق الكلام في نفس الشجرة فسمعه موسى، ومعلوم أن تلك الحروف والأصوات التي خلقها الله ليست مماثلة لما يسمع من العبد وتلك هي كلام الله المسموع منه عندهم، فالسلف وأتباعهم يرون أنّ المتكلم المعروف عندهم من قام به الكلام وتكلم بمشيئته وقدرته، لا يعقل متكلم لم يقم به الكلام ولا يعقل متكلم بغير مشيئته وقدرته)(٣).وقال أيضاً: وأئمة الدّين كلهم متّفقون على ما جاء به الكتاب والسنّة، واتّفق عليه سلف الأمّة من أنّ الله كلّم موسى تكليماً، وأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنّ المؤمنين يرون ربّهم في الآخرة كما تواترت به الأحاديثعن النبي ﷺ، وأنّ لله علماً وقدرةً ونحو ذلك، ونصوص الأئمّة في ذلك مشهور متواترة، وحتّى إنّ أبا القاسم الطّبري(ت:

---

(١) مفاتيح الغيب: ٥٥٦/٢٧.

(٢) المعتزلة: فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء، تميزت بتقديم العقل على النقل، وبالأصول الخمسة التى تعتبر قاسما مشتركا بين جميع فرقها، من أسمائها القدرية والوعيدية والعدلية، سموا معتزلة لاعتزال مؤسسها مجلس الحسن البصري بعد خلافه معه حول حكم الفاسق.انظر: الفصل في الملل والنحل ابن حزم : ٨٣٠/١

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل: ٢٨/٣-٧٧ .

٤١٨هـ)الحافظ لما ذكر في كتابه في شرح أصول السنّة مقالات السلف والأئمّة في الأصول، ذَكَر من قال القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال: هؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر، من التّابعين والأئمّة المرضيّين سِوى الصحابةعلى اختلاف الأمصار ومُضيّ السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمامٍ مِمّن أخذ النَّاس بقولهم، وتذهّبوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول أهل الحديث لبلغت أسماؤُهم أُلوفاً(١).

ومما سبق نرى أن كلام المعتزلة بأنّ الله يخلق الكلام في هذه الأعضاء قول باطل، ويعارض صريح القرآن الذي نص على حقيقة نطق الأعضاء، بلا قرينة ولا دليل.

الأدلة على حقيقة نطق الأعضاء:

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(يس: ٦٥)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾(النور: ٢٣ـ٢٤)، فالأيدي تتكلم، والألسن، والأرجل تشهد وذلك بقدرة الله سبحانه ومشيئته.وقول الجوارح: ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾يدل على حقيقة نطق تلك الجوارح، وذلك بعد اعتراضهم على الجوارح بقولهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾.

---

(١) الفتاوى الكبرى: ٣٠/٥ .

وبهذا يتبين لنا أن شهادة الأعضاء حقيقة لدلالة النصوص السابقة على ذلك، وأنها تشهد عليهم يوم القيامة بكيفية يعلمها الله ﷻ، وذلك أن أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا في أمور كثيرة.

كيفية أداء الجوارح لهذه الشهادة:

الذي يظهر- والله أعلم- في كيفية أداء الجوارح، وهو أن تؤمر الأركان بالشهادة فتشهد معدّدة أفعالهم ؛لدلالة النص على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾(يس: ٦٥)، ولما ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ"(١)، فدلت هذه الآيات على أن الجوارح تنطق بأمر من رب العالمين.

ب- شهادة الأعضاء بين العموم والخصوص: (من المسائل المهمة في هذ الموضوع: هل الشهادة خاصة بالكفاروالمنافقين أو تشمل المؤمنين؟ومن الآيات الواردة في هذه المسألة وما يتعلق بسياق الآيات في تلك المواضع، ما يلي:

أولاً: آيات سورة النور، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(النور: ٢٣-٢٤)، فقد وردت هذه الآيات في وعيد من قذف المحصنات المؤمنات، وهذا القذف من كبائر الذنوب، وتأتي بعد قصة الإفك التي اخترعها المنافقون على عائشة رضي الله عنها في غزوة بني

---

(١) سبق تخريجه (ص : ٣١).

المصطلق، فبرأها الله ﷻ من فوق سبع سماوات، والقذف كبيرة من كبائر الذنوب والقاذف قد يكون كافراً، وقد يكون مؤمناً مرتكباً كبيرة...)(١).

والذي يظهر -والله أعلم- أن من قذف أمهات المؤمنين أو إحداهن بعد نزول الآيات وقيام الحجة، ومن أصر على القذف ولم يتب، ومن كان مستبيحا لذلك؛ فإنه يكفر ويستحق الوعيد الوارد في الآيات، وتكون الشهادة ـ الجوارح ـ في شأن المنافقين.ومن قذف غير أمهات المؤمنين فهو مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ"(٢).

ثانياً: آية سورة يس كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾(يس: ٦٤)، فهذه الآية واردة في سياق الحديث عن الكفار وأحوالهم يوم القيامة سبقت بآيات تدل على ذلك، حيث قال سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾(يس: ٦٢-٦٣)، فبين سبحانه أنه يختم على أفواه الكفار عندما ينكرون كفرهم وشركهم في الدنيا، فتشهد أعضاؤهم على ذلك كما

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير للجوزي: ٢٨٧/٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾، ح (٢٧٦٦)، (١٠/٤).

دلت عليه تلك الآية.وقد بينا سابقا مواضع الختم في القرآن الكريم، وأن الختم يوم القيامة يكون على الأفواه.

ومما سبق من آية سورة (يس) يتبين لنا ـ والله أعلم ـ أن السياق يبيّن أنها في شأن الكافرين وأن الجوارح تشهد على هؤلاء الكافرين.

ثالثاً: آيات سورة فصلت كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾(فصلت: ١٩-٢٤).

هذه الآيات جاءت بعد ما أخبر الله ﷻ عن قوم عاد وثمود وما أصابهم من العذاب، حيث قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(فصلت: ١٥—١٧)، وأنه سبحانه نجى المؤمنين حيث قال سبحانه: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(فصلت: ١٨).

ولما فرغ من موعظة المشركين بحال الأمم المكذبة، وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا، انتقل إلى إنذارهم بما سيحل بهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾(فصلت: ١٩)، وأعداء الله: هم مشركو قريش؛ لأنَّهم أعداء رسوله ﷺ(١)، فقالوا "يعني الكفار﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾وإنما كنا نجادل عنكم، قالوا﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فلما خاطبت وخُوطبت أُجريت مجرى من يعقل﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾أي: ركّب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفاً، فمن قدر عليه قدر على أن يُنطق الجلود وغيرها من الأعضاء، وقيل: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ابتداء كلام من الله﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قال المفسرون: القول هنا إما أن يكون من قول الجوارح، وإما أنه من قول الملائكة، وإما أن يكون من قول الله سبحانه وتعالى(٣).

والذي يظهر -والله أعلم- أنها من كلام الجوارح؛ لأن السياق متصل ولم يفصل بينهم شيء.

ومما سبق يظهر أن دلالة هذه الآيات على أن شهادة الأعضاء هنا في شأن المشركين؛ لأنها سبقت بالآيات التي تتحدث عن عاد وثمود وتكذيبهم

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٤/ ٢٦٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٥/ ٣٥٠.

(٣) المصدر السابق: ١٥/ ٣٥١.

لرسلهم، وأن الله سماهم (أعداء) وهم الكفار، وأن الآيات التي أتت بعدها في الكفار خاصة؛﴿ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾، فتكون الآيات الثلاثة السابقة وردت في شأن الكافرين والمنافقين، فآية سورة (يس) وسورة (فصلت) في شأن الكافرين، أما في سورة (النور) فهي في شأن المنافقين.

وسبب نطق الجوارح يوم القيامة هو الإنكار من العبد، كما دلت أحاديث في ذلك، منها:

حديث أَنَسٍ ﵁ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟..."(١).

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي

الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟"..."(٢)، فمن خلال الأحاديث السابقة يظهر -والعلم عند الله- أن شهادة الجوارح كانت بسبب إنكار العبد حتى تفضح كذبه، والإنكار في هذا اليوم لا يكون إلا من المنافق والكافر، وأما المؤمن فقد بينت الأحاديث أنه يعترف بخطئه، بل يقر بذنبه لربه فيغفر ربه ذنبه، والدليل على ذلك: حديث صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المازِنِيّ(٣)، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا

(١) سبق تخريجه (ص : ٣١).

(٢) سبق تخريجه (ص : ٣١).

(٣) صفوان بن محرز بن زياد المازني وقيل الباهلي، روى عن ابن عمر وابن مسعود وابن عباس

أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(هود:١٨)" (١).

فهذا الحديث دليل على أن المؤمن يعترف بذنبه ويقرّ به، فلا يحتاج إلى شهود عليه، لكن قد يكون هناك شهود له تنطق بالخير وتسكت عن الشر ستراً من الله، كما ورد في سنن أبي داوود عن حُمَيْضَةَ بِنْتِ يَاسِرٍ، عَنْ يُسَيْرَةَ(٢). أَخْبَرَتْهَا، "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُنَّ أَنْ يُرَاعِينَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالتَّقْدِيسِ،

وغيرهم، وروى عنه قتادة ومحمد بن واسع وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة وله فضل وورع، توفي في ولاية عبدالملك سنة ٧٤هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/٤٣٠.

(١) رواه البخاري،، كتاب: المظالم والغصب، باب: قوله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين"، ح (٢٤٤١)، (١٢٨/٣).

(٢) يسيرة وهي أمّ ياسر، ويقال بنت ياسر الأنصاريّة، أسلمت وبايعت، وروى حديثها هانئ بن عثمان، وكانت من المهاجرات، وقيل: من الأنصار، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٨، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٤٥٨/١٢.

وَالتَّهْلِيلِ، وَأَنْ يَعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ، مُسْتَنْطَقَاتٌ"(١)، قال المناوي(ت: ١٠٣١هـ): "فإنهنّ مسؤولات عن عمل صاحبها مستنطقات للشهادة عليه، فأمَّا المؤمن فتنطق عليه بخيره وتسكت عن شره ستراً من الله، والكافر بالعكس فإنّ خيره لغير الله فهو هباء(٢)، وأما الكافر والمنافق فينكر ذنبه فتشهد عليه جوارحه.

ولفظ (العبد) يشمل المؤمن والكافر، والأدلة الواردة في شهادة الأعضاء توضح أنها خاصة بالكافر والمنافق، ونجيب على ذلك أن المؤمنين يوم القيامة على أحوال:

١- المؤمنون الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في حديث سَهْلِ بْنِ سَعْد ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ

(١) رواه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: التسبيح بالحصى، ح(١٥٠١)، (٢/٦١٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: في فضل التسبيح والتهليل والتقديس، ح(٣٥٨٣)، (٥/٥٧١)، وقال: حديث غريب إنما نعرفه من حديث هانئ بن عثمان، وأخرجه أحمد في مسنده، ح(٢٧٠٨٩)، (٤٥/٣٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده محتمل للتحسين، وحُمَيْضة بنتُ ياسر إنما روى عنها ابنها هانيء بن عثمان الجُهني، وذكرها ابن حبان في "الثقات"، وقال الحافظ في "التقريب": مقبولة، قلنا: وبقية رجال الإسناد ثقات، قال الألباني: حسن.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد الحدادي المناوي: ٤/٣٥٥ .

سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ، لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ"(١).

٢-المؤمنون الذين يقرون بذنوبهم، فيعترف، ويسترها الله عليهم ويدخلهم الجنة، كما ورد في حديث صفوان رضي الله عنه.

٣- عصاة المؤمنون الذين يدخلون النار ليُطَهّروا من ذنوبهم، ومن المحتمل أن تشهد عليهم جوارحهم، لكن ليس هناك دليل صريح على ذلك.

وفي ختام هذا الفصل يتجلى رأي أكثر المفسرين في أن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة تشمل للكفار، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(يس: ٦٥)، وفي قوله جل جلاله "﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(فصلت: ٢٠-٢١)، وتشمل المنافقين، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(النور: ٢٤)، ولم يرد أي دليل ثابت في أن المؤمن تشهد عليه أعضاؤه في ذلك اليوم، إنما قد تنطق عليه بخيره وتسكت عن شره ستراً من الله.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٤٧)، (١١٨/٤).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، وبعد الدراسة والتأمل في الأقوال والترجيح والتحقيق يمكن عرض أهم النتائج:

* أن الشهادة في اللغة تأتي بإطلاقات متعددة، أهمها الحضور، والعلم، والتحمل، والحلف، والقتل في سبيل الله.

* لفظة (شَهِدَ) تأتي في القرآن على أوجه ومعان متعددة، منها: النبي المبلغ، والملك الحافظ، والشاهد الذي يخبر بالحق على المشهود عليه، وأمة محمد ﷺ، والإقرار، والحلف واليمين، وغيرها. ومفهومها متنوع بتنوع المجالات.

* أن الشهادة صفة من صفات الله تعالى، والشهيد اسم من أسمائه الحسنى.

* أن الشهادة ثابتة للملائكة وللأنبياء وللرسل، وصفة من صفات هذه الأمة التي شرفها الله على سائر الأمم.

* أن الأعضاء الواردة في كتاب الله تزيد عن أربعين عضواً، وأن الفخذ، والكف أول الأعضاء شهادة على الإنسان.

* أن شهادة الأعضاء حقيقة؛ لدلالة النصوص في ذلك، لا كما يرى المعتزلة أن الله يخلق فيها كلاما.

* لا بد للإنسان من ضبط سلوكه في معاملته مع الآخرين؛ حيث يعلم أن الله شاهد عليه.

* أن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة تكون للكفار والمنافقين، ولم يرد أي دليل ثابت في أن المؤمن تشهد عليه أعضاؤه في ذلك اليوم.

* أن المؤمن قد تنطق عليه أعضائه فتنطق بخيره، وتسكت عن شره ستراً من الله له.

أهم التوصيات:

١/ توجيه الباحثين وتشجيعهم على البحث في التفسير الموضوعي، وانتقاء المواضيع التي تهم الناس في عصرنا، والتركيز عليها. وربطهم في الحال والمآل.

٢/ عقد المؤتمرات التي تُعنى وتهتمّ بتدريب الباحثين على استخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي في التفسير.

وأخيراً اسأل الله سبحانه أن يختم لنا ولكم بخير، وأن يرزقنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح.

***

المراجع

- القرآن الكريم.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، ت: عادل عبدالموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوبالفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط١.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمدبن عاشور، الدار التونسية للنشر–تونس، ١٩٨٤هـ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية– بيروت.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٠٣ هـ.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ١، ١٤٣٠هـ، رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه.
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، ط: ١
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ.

- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان الأزدي، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط: ١، ١٤٢٣هـ.
- تهذيبالتهذيب، أحمد بن علي بن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦ هـ.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط: ١، ١٤١٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر.، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية–القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤ هـ.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٨ هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: عبدالرزاق المهدي.، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت: شعَيب الأرنؤوط - مُحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠هـ.
- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤، ٥).، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧ هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢، ١٤١٤هـ.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، ت: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

- العلل، ابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد القمي، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٦ هـ.
- غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني– بغداد، ط: ١، ١٣٩٧هـ.
- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ت: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط: ١(١٤١٤ هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
- الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم.، دار العلم والثقافة للنشر، القاهرة – مصر.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط: ١، ١٣٥٦هـ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي– بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي – القاهرة، ط، ١٤٤١هـ.
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس الرازي، ت: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
- مختصر الكامل في الضعفاء، أحمد بن علي المقريزي، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، مكتبة السنة، مصر، القاهرة، ط: ١، ١٤١٥هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٩ هـ.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد اللهالحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط: ١، ١٤٠٤ هـ.
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون.، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ.

- مسند الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، ت: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٣٧٠هـ.
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، ت: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤ هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، دار الدعوة.
- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ).
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد عمر إبراهيم القرطبي، ت: محي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٧ هـ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، ت: عبد السلام محمد هارون.، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ،.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

***